



سيمياءية المكان في شعر سعد ياسين يوسف

الباحث. عبدالله كاظم كامل

أ.د. راسم احمد عبيس

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

The Semiotics of Place in the Poetry of Saad Yassin Youssef

Researcher. Abdullah Kadhim Kamil

abdullah.k.k3619@gmail.com

Prof. Dr. Rasim Ahmed Obeiss

basic.rasem.ahmed@uobabylon.edu.iq

University of Babylon/College of Basic Education

Abstract

This research explores the semiotics of place in the poetry of Saad Yassin Yousif, considering it a fundamental element in shaping his poetic experience and creative identity. For the poet, place is not merely a static geographical frame, but a living entity pulsating with historical, cultural, and emotional significance.

The semiotics of place begins from his birthplace in Amara, Maysan Governorate, expanding toward broader Iraqi, Arab, and international spaces. Place in his poetry transforms into a medium for preserving collective memory and resisting oblivion, reflecting social and political transformations. Furthermore, metaphorical space emerges as a symbol of identity, alienation, and nostalgia, particularly through natural motifs such as trees and water.

The study also highlights geometric space in its depiction of the Iraqi tragedy through precise, documentary description, while hostile space reflects violence, destruction, and existential conflict. The research concludes by affirming that place is a lived experience that identifies with the poet's self, making its semiotics a key interpretive tool for understanding the poetry of Saad Yassin Yousif.

Keywords: Semiotics, place, memory, association, location, metaphor, identity.

الملخص

يتناول البحث سيمياءية المكان في شعر سعد ياسين يوسف بوصفه عنصرًا جوهريًا في تشكيل تجربته الشعرية وهويته الإبداعية. فالمكان عند الشاعر ليس إطارًا جغرافيًا ثابتًا، بل كيانًا حيًا نابضًا بالدلالات التاريخية والحضارية والوجدانية. تنطلق سيمياءية المكان من مسقط رأسه في العمارة بمحافظة ميسان، لتتوسع نحو فضاءات عراقية وعربية وعالمية. ويتحوّل المكان في شعره إلى وسيلة لحفظ الذاكرة الجمعية ومقاومة النسيان، معبرًا عن التحولات الاجتماعية والسياسية. كما يتجلى المكان المجازي بوصفه رمزًا للهوية والاعتراب والحنين، خاصة من خلال رموز الطبيعة كالشجر والماء. ويبرز المكان الهندسي في تصوير المأساة العراقية عبر دقة وصفية توثيقية. أما المكان المعادي فيعكس العنف والدمار والصراع الوجودي. ويُختتم البحث بتأكيد أن المكان تجربة معاشة تتماهى مع الذات الشاعرة، مما يجعل سيمياءيته مفتاحًا تأويليًا لفهم شعر سعد ياسين يوسف.

الكلمات المفتاحية: سيميائية، مكان، ذاكرة، جمعية، مكان، مجازي، هوية، شعرية.

التمهيد

يشكل المكان جزءاً جوهرياً من الكيان الروحي والوجداني للشاعر سعد ياسين يوسف، حيث يرتبط به ارتباطاً عضوياً إذ يجمع بين التاريخ والحضارة والجغرافيا والثقافة، وتتجلى هذه العلاقة العميقة والفريدة في معظم نصوصه الشعرية، التي تظهر تأثرها البالغ بمسقط رأسه في العمارة بمحافظة ميسان، تلك البيئة الغنية التي وُصفت بـ"مملكة الشعر وسلطانة الإبداع"، فقد شكلت هذه الجغرافيا العراقية الخاصة المنبع الأول لوعيه الجمالي ومخزونه الرمزي^(١)، حيث نلمح في دواوينه مثل "شجر بعمر الأرض" و"شجر الأنبياء" استحضاراً متواصلًا للأبعاد الحضارية والتاريخية للعراق القديم والحديث.

ولا يقتصر حضور المكان في شعر سعد ياسين يوسف على بعده الجمالي فحسب، بل يتخذ أبعاداً دلالية أعمق، إذ يتحول إلى وسيلة للكشف عن التحولات التاريخية والاجتماعية التي مرّ بها العراق، فضلاً عن كونه أداة لمقاومة النسيان وصيانة الذاكرة الجمعية^(٢)، كما تتأسس سيميائية المكان في شعره على علاقة جدلية بين الذات الشاعرة والمكان، حيث يحدث نوع من التماهي بين الطرفين، فيغدو المكان كائنًا حيًا ينبض داخل النص، ويعبر عن الهواجس الوجودية والإنسانية للشاعر، مما يسهم في إثراء البنية الرمزية للنص ومنحه طاقات دلالية متعددة^(٣)، وعليه، يمكن القول إن سيميائية المكان تمثل أحد المفاتيح التأويلية الرئيسية لفهم التجربة الشعرية لدى سعد ياسين يوسف، لما تحمله من أبعاد جمالية ومعرفية أسهمت في تشكيل هويته الشعرية وترسيخ رؤيته الفنية^(٤).

ويُلاحظ أن المكان في شعر سعد ياسين يوسف لا يُستدعى بوصفه معطًى ثابتاً، بل يخضع لتحولات دلالية تتغير بتغير السياق الشعري، مما يمنحه طابعاً ديناميكياً داخل النص^(٥)، كما تتكثف سيميائية المكان عبر تكرار رموز محددة، مثل الشجر والأرض والماء، التي تؤدي وظائف إيحائية تتصل بفكرة الخصب والاستمرار والبعث. ويُسهم هذا التكرار في بناء نسق مكاني متماسك يعزز وحدة التجربة الشعرية، كذلك، يعمل المكان على خلق توازن بين البعد الذاتي والبعد الجمعي، حيث تتداخل تجربة الشاعر الفردية مع الذاكرة الجمعية للمكان. ومن ثمّ، يغدو المكان عنصراً بنائياً فاعلاً في تشكيل الرؤية الشعرية، لا مجرد خلفية وصفية.

أ- سيميائية المكان المجازي في شعر سعد ياسين يوسف

يتجلى المكان المجازي في شعر سعد ياسين يوسف كفضاء دلالي مكثف، يحمل شحنات رمزية ونفسية عميقة تتجاوز المظهر المادي إلى العالم التخيلي، فالشاعر لا يقتصر على وصف الأماكن الواقعية، بل يحولها إلى رموز حية تعبر عن هموم الوجود والهوية والاعتراب، فـ"الأشجار" في دواوينه المتعددة - من "شجر الأنبياء" إلى "أشجار بلون الهديل" - تتحول من كائنات طبيعية إلى استعارات لجذور الهوية العراقية المتأصلة، ونلمس عند الشاعر سعد ياسين يوسف توظيفاً عميقاً للمكان المجازي بمدلوله الرمزي الذي يتجاوز الوصف المادي إلى فضاء الدلالة والانزياح الشعري^(٦)، كما في قوله:

الشناشيلُ هوتُ
وتساقطت فوقَ الركامِ
حِضارَةً
من دمي ارتوتُ
الشناشيلُ هوتُ
وتدحرجت حتى أناشيدُ العصافيرِ الصغيرةِ ،
والتوتُ ،
أعناقُها وذوتُ .
كان الصراخ
على وقع انفجاراتِ القذائفِ
مذ سقطتُ قذائفُهم ،
سقطوا
سقطت لقصفِ بيوتنا ،
سقطوا
وتساقطت فوقَ الترابِ
قلوبنا ، دُمى أطفالنا ،
أحلامنا... سمّت رؤانا
ونمت في القلبِ نرجستي
التي آويتها
من بردِ هذا الكون
حتى استوتُ
وتناثرتُ فوقَ الطريقِ المشربِ
إلى الفناءِ .^(٧)

كما نلاحظ عند سعد ياسين يوسف توظيفاً عميقاً للمكان المجازي بمدلوله الذي يتجاوز الوصف المادي إلى فضاء الدلالة والانزياح الشعري، كما في قصيدته "شجرُ الغياب.. شجرُ الحضور" حيث يتحول المكان من كينونة جغرافية إلى حقل دلالي يعبر عن التفاعل بين الذات والغياب^(٨)، ففي قوله:

"مذ غادرتني سكنت في
فراشتي التي

من قبل أزمنة المحبة
أومأت لي امتثل لغابتي لشمسي التي
ما أشرقت إلا على عينيك
يا أيُّها الشَّجْرُ الملقعُ بالجنونِ
باتقادِ الرّوح
النار تحرق أجنحة الفراشات التي
ظلّت تحومُ وبلا وجوم...
حطت العصفورة في كفي.
المرافئ أطفأت أنوارها
فما بال المراكب..
هل تؤوب؟
وأسراب اليمام إلى غدٍ
شدّت جناحَ الرّيح، قلصت المسافات البعيدة
أضاءت لها مرفأً، تهفو إليه
فهوت بقلبي العاصفة.^(٩)

ب- سيميائية المكان الهندسي في شعر سعد ياسين يوسف

يُعد المكان الهندسي في شعر سعد ياسين يوسف مكوناً جوهرياً يستند إلى الدقة الوصفية والتفصيلية في تصوير الفضاءات المادية، حيث يتجاوز الشاعر التوصيف السطحي إلى تقديم رؤية تحليلية تعكس الواقع بأبعاده الملموسة^(١٠)، ويبرز المكان الهندسي في شعر سعد ياسين يوسف كأداة فنية تعكس التزام الشاعر بتوثيق التفاصيل الدقيقة للواقع العراقي بكل مأساويته، ففي قصيدة "شجرة العروج"، يتحول الحي البغدادي (الكرادة) من مجرد موقع جغرافي إلى فضاء سيميائي يحمل شحنة درامية من خلال الدقة الوصفية التي تصل إلى حد التمزيق التشريحي للجسد البشري^(١١)، إذ يقول:

"قامت قيامتهم

سيأتونك عند سدره المنتهى

ولكن كما رَسَمْتَهُمُ النِّيرانُ لا كما خلقتَهُمُ في أحسن تقويم

حاملين هداياهم.....

أطفالا بلا عيون

تُشرق شمس الكركرات



من محاجرهم
يحملون ملابس بيضاء
بلون الفرع القليل
لم تلبس بعد، ودمي مبتسمةً. بعضُهم مازالوا متعانقين
فلا تؤاخذهم....
لم يبلغوا سينّ الحلم بعد وكان عصياً على المنقذين
فك عناقهم،
..فتيات.
بقلوب متفحمة،
وأغان محترقة
يحملن صور من أحببْنَ
وآخر رسالةٍ حبِّ سَمِعْنَهَا
أربطة عنق جديدةٍ أشتريتها
قبل لحظات.....
غفرانك...
إن جنن بلا شالات...
بضفائر أكلتها النيران..
أشجار تعرج إليك
بطين جذورها
شباب متفحمون وأيدٍ مُفتتةً
لكنهم يحملون بما تبقى منها قناني عطر لم تُفتح بعد..
اجتهدوا كثيراً في الحصول على ثمنها.
سيأتونك آباء وأمّهات
تجمدتِ الصّرخةُ على وجوههم لكن صوت ترددها يسبقهم اليك
رحماك...
فلا تردّهم..
ولا ترد هداياهم
لأنهم ومع تراتيل ليلية



أسميتها "القدر"

أتوك من مكان بعيد، بعيد جداً...

وقريب جداً

أتوك من..... "الكرادة". (١٢)

ونلاحظ في قصيدة "اغتيال الخصرة" لسعد ياسين يوسف براعة في توظيف المكان الهندسي الذي يتحول من فضاء مادي إلى شاهد على المأساة الإنسانية^(١٣)، ففي قوله:

"كم ربيعاً مرّ،

بلا غيثٍ يغسلُ الأشجار

في "شارع دجلة"؟

يرسم شكل خطواتنا معاً

على رصيفه....

الذي اغتالته الشرفاث

وأرعبه صوت صفارة الإنذار

من فوق "دائرة البريد"

كم ربيعاً مرّ من غير أن نلتقط

صورة العيد الهارب من بين المقابر

وحزن الأمهات؟

كم ربيعاً قطعت رأسه

حماقات الحروب

قبل أن يُشرق فينا...؟

كم ربيعاً مرّ مذعوراً

لما رأى السماء

وشتمها الشّظايا بالدماء؟

بخوفٍ أن نفتح النّوافذ،

نظللها بأغطية ارتجافنا،

بالأسئلة الصارخة المذبوحة بوجوه أطفالنا

خوف أن تُبصرنا القذائفُ

"الذكية"



عد معي على حباتِ مسبحتك

عدّ يا ربيع

عد

عشرة.....

عشرين....

ثلاثين.....

أربعين.....

خمسين...." (١٤)

ج- سيميانية المكان المعادي في شعر سعد ياسين يوسف

يُعد المكان المعادي في شعر سعد ياسين يوسف مكوناً أساسياً في تشكيل رؤيته الفنية والوجودية، حيث يتجاوز كونه مجرد خلفية مكانية ليصبح فاعلاً رئيسياً في التعبير عن مأساة الإنسان العراقي، ويتميز توظيف الشاعر للمكان المعادي بقدرته على تحويل الفضاءات الجغرافية إلى كيانات حية تنطق بالألم والضياع^(١٥)، ونشاهد في قصيدة "اللا هو..." لسعد ياسين يوسف توظيفاً مكثفاً للمكان المعادي الذي يتحول من فضاء مادي إلى تعبير عن المأساة الوجودية، ففي قوله:

"سنواته.

تجاوزت الكهوف

وجدران الأسى والحكايات

والتواريخ المسحوبة بالسرفات

وما يزال...

يشربُ الدّمَ الأوّل

يُلَوّنُ بهِ وَجَهَ السَّمَاءِ الَّتِي أَتْكلها بِالسَّمْسِ وثقّبها بالطعنات

أعيروني جرعةً من جنون

كي استوعب!!!

كيف تساقطت الحدقات

وغادرت الأعشاش منابتها

مستبدلة بالخضرة حَجراً

ما إن أهف لمخاصرة الأرض

يرجمني بحبال دخان



أعيد إليها ساقها المبتورتين ذراعيها لتخط

على ظلمة رايات الموت

تواريخ تُجَبَلُ ذاكراً

الورق الذابل فوق التيجان". (١٦)

ونلاحظ في قصيدة "شجرة آدم" لسعد ياسين يوسف براعة فائقة في توظيف المكان المعادي الذي يتحول

من فضاء مادي إلى تعبير عن الصراع الوجودي بين الخير والشر. ففي قوله:

"حيث التقيا

نهرا دم وماء

تكشف عن سرّتها

الأرض

تعلو غابات النخل

عصافير الجنة

تصعد مثل أذان الفجر

من أزمنة تجتاحك كالتطوفان

وتعلّق فوق فروعك آلاف القمصان

تستصرخ تأراً

أو تطلب نذراً أعيته السّنوات

من غزوات النار

من فحم حروب الغبراء وداحس

من جلجلة الشرفات

وملايين حوافر خيل الليل الأعمى

تأتي وتقوم قيامتها

يتفتّت وجه الحجر

وتنبع من قاعدة رخام الصّمت

عيونُ الورد فتسحقها خيولُ الملك

اللائذة بريح غروب الشّمس

وتبعثر أوراق تويج الورد

على وجه الصّحراء



فتنبثُ أشجار ودماء
منذ ألوف السنوات اهتزت
بمخاض الأعماق،
الأرض
اتقد المولود
كمشكاة خرجت فأضاءت
كوناً من أوراق خضر
حتى استبدلت الوديان حصاها
بالضوء فكانت كفان ارتفعا
السماءِ الرَّبِّ
لا الرِّيحِ ولا الطُّوفانِ
ولا أظلاف الهجن،
قراصنة البحر،
لصوص الصحراء
خناجر حقدِ الإخوة الأعداء
تُنزلُ كفيك، فرعيك.
جذوركِ "إبراهيم
وجذعكِ نخلة مريم تظلُّ تُصعدُ أغنيةَ الفقراء
وتهمس للربِّ بشكواهم
يساقط رطبُ المعجزة قبل أوان البوح
فيسرقه السَّيفُ ويُوغل فينا
من يرفع كفيه
تفرمة العجلات
وتمضي مسرعةً نحو حقول الأُس" (١٧)

ونرى في قصيدة "شجرة النزول" لسعد ياسين يوسف براعة فائقة في توظيف المكان المعادي الذي يتحول من فضاء مادي إلى تعبير عن المأساة الوجودية للإنسان (١٨)، ففي قوله:

وهي....

إذ تنزلُ من جنتها



قالت: ربي أختز لي أرضاً
أنثر فيها من رحمي،
قبائل خُصرة...
يعلو فرعي ثانيةً نحوك
وأذيبُ الملحَ اكورُهُ
رطباً
علَّ المخلوقَ اذا ما غربت فيه الشَّمسُ
تضيءُ بباحةِ روحه
فواختُ حلمِ المأسورين
ررفةُ الأجنحةِ..
يدركُ كيفَ يكونُ الجذُرُ تراتيلاً
خبزاً...
لعيونِ المنتظرينَ على ابوابِ ،
تتآكلها الصَّحراءُ
تنهشُها اللهفةُ ،
- قال: اخترتكِ شاهدةً...
عُفوك...
- شاهدةِ الوادِ ؟ !!، الطلقاتِ اذا مامرتِ
وهي ترددُ اسماءَ مضيئها ؟
الموتِ النازلِ مطراً فوقَ ضفافِ النهدينِ.؟؟
أشفقتِ الدمعةُ في عينيها
استنطقتِ الجُمَارَ
المدمي بوشوشةِ الأنهارِ الدافقةِ
بويلِ الموجاتِ الأولى
كم شهدتُ ؟ !!
حزنَ نهاراتِ الجزارينِ الما فتنوا
خلفَ جذوعِ الزَمَنِ المختلِ
يوارونَ سوءةَ حماماتِ براءتِها.



اطفأت الأنهار مصابيح نوارسها

نجوم الهدأة ونامت متعبة الأنفاس. " (١٩)

يتجلى المكان في هذا المقطع بوصفه فضاءً طارداً للحياة، تُهيم عليه علامات الموت والوَأد والرصاص، فيفقد وظيفته الحاضنة. فالهبوط من الجنة إلى الأرض يرمز إلى الانتقال من الطهر إلى العنف، حيث يتحول المكان إلى شاهد على المأساة لا على الخلاص. وتعمل الصحراء والجفاف والانتظار على تكثيف دلالة القسوة والحرمان، في مقابل رغبة الذات في الخصب والإنبات، وهكذا يصبح المكان عنصراً سيميائياً فاعلاً يُجسد الصراع الوجودي ويعمق البعد المأساوي للنص.

د - سيميائية المكان بوصفه تجربة معاشة في شعر سعد ياسين يوسف

يُعد المكان من المفاهيم الأساسية التي تشغل النصوص الأدبية، حيث يتجاوز كونه مجرد إطار جغرافي أو خلفية للأحداث إلى أن يصبح فضاءً حيويًا يعكس تجارب الإنسان ومشاعره، في الشعر يتحول المكان إلى رمز ودلالة تحمل أبعاداً نفسية واجتماعية وثقافية، مما يجعله عنصراً فاعلاً في بناء المعنى وتشكيل الهوية الشعرية^(٢٠)، ويُلقب سعد ياسين يوسف بشاعر الأشجار، وهو الشاعر العراقي الذي تشكلت هويته في أحضان ميسان وبغداد، وعاش تجربة المنفى، مما يجعله نموذجاً متميزاً لتتبع آليات تحول المكان من كينونة مادية إلى تجربة معاشة، تعكس وعي الذات بهويتها وإحساسها بالاغتراب والحنين، فالمكان عنده ليس خلفية ثابتة^(٢١)، المكان في شعر سعد ياسين يوسف يتجلى المكان كتجربة معاشة تتجاوز الوصف الخارجي لتصبح فضاءً ينبض بالحياة والذكريات، ويعكس حالة الشاعر النفسية والاجتماعية.

١. "التوراة"

يشكل مسقط رأس الشاعر في محلة "التوراة" بمدينة العمارة النواة الأساسية التي تنبثق منها سيميائية المكان في قصيدة "القشة"، حيث يتجلى سعد ياسين يوسف في تحويل المكان الذاكري إلى كيان سيميائي حامل لطبقات دلالية متعددة^(٢٢)، ففي قوله:

القُشَّةُ...

التي ساقتها الرِّيحُ

أنت.....

وبين موجة حملتك

من شفق بعيد

إلى "شناشيل التوراة"^(٢٣)

ثمانون بحراً.. وقرون ثور

أسقطت مصابيح الضياء،



.. تكسرُ أشرعة
وغناءً بنشيج الغربة التي استوطنتك
هناك...
كما استوطننتني.. هنا،
رايات
حرب وأغاني سلام،
حروفٌ رُسمت على حلمة التمني
مددتها فرع شجرة
تفتحت أزهار لوزها
أمسكته وكسرتة وقلت:
هي بعضُ طباعي !!!
وأنا اللائدُ بالحلم...
كنتُ أوشك أن أرتق ظهر قميصك
الذي قَدَّته يدُ الأرض...
لأخفي مفاتن الحزن الخامة
على مرآة ظهرِك" (٢٤)

٢. المجر

تُمثّل "المجر" في شعر سعد ياسين يوسف أكثر من مجرد موقع جغرافي، فهي تتحول إلى فضاء سيميائي يحمل أبعاداً أسطورية ووجودية، فمدينة المجر التي تقع على حافة أهوار الجنوب تصير في نصه "مجرة سماوية" تربط بين الأرض والسماء، متخذة من "نهر العدل" طريقاً مائياً يربط العالم اليومي بالمقدس، ومن "صحن الله" (هور الصحين) فضاءً دائرياً يرمز للاكتمال والقداسة^(٢٥)، وتمثّل مدينة "المجر" في محافظة ميسان النموذج الأكثر اكتمالاً لسيميائية المكان بوصفه تجربة معاشة في شعر سعد ياسين يوسف، حيث ينطلق الشاعر من واقع المكان الجغرافي ليحوّله إلى فضاء أسطوري متعدد الدلالات^(٢٦)، ففي قصيدة "مجرة المجر" نلمس توظيفاً بارعاً لهذه التقنية بمدلولها العميق في مثل قوله:

مُنْ خَلَقَ اللهُ مَجْرَتَهَا...
وأجرى على الأرض نهريها
شَقَّ بِمِرْوَدِ أَمْنَا حِوَاءَ
عَيْنِهَا فَكَانَتْ مَجْرَةً لِلسَّمَاءِ



تلألأت النجوم في أعماقها

فأضاءت مدى شاسعاً...

من سماء وماء،

"خزانات" وأساطير و"يشن"

ترقص حوريات النور

فوق قبابها.

من نَهْزِي عَسَلٍ وحليبِ الجِنَّةِ

استل عصاه المقدسة

رماها على جُرْقَى نَهْرِيهَا....

وقال لها: كوني....

فأنبتت حقولاً من قصب السكر ضفائر عمدها المسك، القرنفل،

غابات من يشامبغ سومر..

تسهلُ الرِّيحُ إذا ما تأخروا بها

للغزاة... " (٢٧)

تتجلى سيميائية القصيدة على جعل شناشيل التوراة علامة مكانية تستحضر الذاكرة والحنين والهوية وترمز «القشة» والريح والموج إلى هشاشة الذات وحالة التيه والاعتراب بين «هنا» و«هناك» كما تتحول عناصر الطبيعة كالشجرة واللوز إلى دوالٍ على الجذور ومحاولة ترميم الفقد وبذلك يغدو المكان فضاءً سيميائياً يعكس انكسار الذات وسعيها إلى استعادة الانتماء.

٣. المدينة

تتجلى سيميائية الرموز المكانية في النص بشكل عميق، حيث تُعبر عن مشاعر الفقد والحنين من خلال تصوير العلاقة بين الروح والمكان، ومن خلال استخدامه للصور الطبيعية^(٢٨)، ونلمس عند سعد ياسين يوسف توظيفاً عميقاً للمكان بوصفه تجربة معاشة مجازية، تحوّل فيها الجغرافيا إلى حالة نفسية والواقع إلى استعارة وجودية^(٢٩)، وذلك في مثل قوله من قصيدة "أشجاري تعرفك:"

"المدينة...

التي وطأتها قدماك العاريتان

هي روجي الدافئة التي

لن تصلي قواميس تراتيلها

المعذبة بالتهجد



وهي تشتعل في خشوعاً فتضيء لي النوافذ التي
كلّما فتحتها، أطلقت يمامات بخورها
هبت عواصف ثلجك
فاوي إلى شجر يعصمني من
يقيني.... " (٣٠)

٥. بابل:

تعتبر قصيدة "قيامه بابل" تجسيداً مصغراً للحياة بكل تعقيداتها وجوانبها المتنوعة، ويُبرز سعد ياسين يوسف في قصيدته "قيامه بابل" براعة فائقة في تحويل المكان الأثري إلى كيان سيميائي حافل بالدلالات الوجودية والتاريخية، حيث يتجلى توظيف المكان بوصفه تجربة معاشة تتجاوز الحيز المادي إلى فضاء رمزي يعبر عن الأبعاد الأسطورية والروحية للحضارة العراقية (٣١)، ففي قوله:

"بابل"

يا صخرة الإله، يا متكأ العرش
يا لهفة الطين إلى السماء
يا هسهسة الجذور في التراب
يا أصابع الخلود..
يا صرخة الريح
يا شهقة المعابد
يا كلّ الجهات
يا مختصر العصور
يا خبز هذه الأرض، دورتها
يا مختلف الملائكة .
يا بنت (مردوخ)..
يا خالق السماء والأرض والبشر
يا خالق النبات والحيوان
يا قاتل (ثيامة الشر) وسابغ الخير
على الحقول والبراري الخضراء .
يا سيد البحار والأنهار
إن غبت عنها ساعة هبت عواصف



السَّمَاءِ

واجتأح طوفانُ التراتيلِ العيونَ

حتى استفاقت في المدى

نبوءةٌ كانت:

" أن اتزر لهم " (٣٢)

٦. كربلاء:

يتجلى سعد ياسين يوسف في قصيدته "شجرة كربلاء" براعة فائقة في تحويل المكان الديني إلى كيان سيميائي حامل لطبقات دلالية متعددة، حيث يتجلى توظيف المكان بوصفه تجربة معاشة^(٣٣)، ففي قوله:

" منذ أن توضأ التراب

بدمك الأخضر

قامت قيامتها الأرضُ

صار لها وجه السماءِ

معنى التَّجذُّرِ الآتي بموج انبثاقِ

الخضرة التي أشعلتها في خشب السكونِ

وكَلَّما جفت يَنابِيعُ صوتِ اللهِ

صاح بها صوتك أن تكونَ

فتضِيءُ السَّمَاءُ وَجْهَهَا المُحْمَرُّ

بالخجلِ المعفَّرِ بالترابِ

حين ارتقى نثاره الممزوج بأسرارِك

معانقاً طيورِك البيضاء

وهي تصعد.. تصعد... تصعد

وسيوفهم تنزلُ في الصَّلَاةِ عميقاً

تنزل.. تنزل...

يتزلزل الملكوتُ تنزلُ الملائكةُ

تصطخب المجرةُ بالصَّاعدينِ النَّازلينِ

فتنكُرُ السُّيُوفَ أعمادها

مكسوة... " (٣٤)



٧. البصرة

نظم الشاعر قصيدة خاصة بمدينة البصر وسمها قصيدة "البصرة" للشاعر سعد ياسين يوسف تجسيدا لجمال المدينة وتاريخها العريق، حيث تتداخل فيها الرموز الثقافية والطبيعية لتعكس مشاعر الفخر والحزن والحنين، ومن خلال استخدامه للصور الشعرية الغنية^(٣٥)، وتبدأ القصيدة بتصوير البحر كرمز للحياة والأنوثة، حيث يُعبر الشاعر عن "عاشقة" يلهي البحر برمل أنوثتها، ويُظهر هذا التصوير كيف أن البحر يُعتبر جزءًا من هوية البصرة، حيث يُعكس جمالها الطبيعي، ويُعبر الشاعر عن كيف أن البحر يُوقد "كفيها جمراً لمحبيها الصوفيين"، إذ يقول:

عاشقة

يلهو البحرُ برمل أنوثتها

توقد كفيها جمراً

لمحبيها الصوفيين

أن اقتربوا، حلّوا في

أضيئوا شموع الوجد

وصلّوا

فالموجُ الأسودُ

يغشي زرقه بحري

موج خناجر...

صوبَ النخل يعول الموجُ الأسودُ

يُوقد قلبي جمر رماد

ويعلقه فوق جذوع النَّخْلِ

تشرقُ في الأفق " (٣٦)

٨. بيروت:

نظم الشاعر سعد ياسين يوسف قصيدة لمدينة بيروت واسمها "شجرة بيروت" للشاعر سعد ياسين يوسف عن رؤية عميقة ومعقدة للمدينة، ويُظهر الشاعر من خلال استخدامه للصور الشعرية الغنية كيف أن بيروت ليست مجرد مكان جغرافي، بل هي كائن حي يحمل في طياته تاريخاً طويلاً من الصراعات والجمال^(٣٧)، ويبدأ الشاعر بتصوير البحر كرمز للحياة، حيث يُعبر عن "روح البحر" و"قلادته المملأى بجواهره الزرقاء"، مما يُعكس جمال المدينة الطبيعي، ومع ذلك يتداخل هذا الجمال مع مشاعر الحزن، حيث يُشير إلى "شهوة موت الغريباء" و"موتاً وقذائف"، مما يُظهر كيف أن بيروت تعاني من آثار الحروب والصراعات، ففي قوله:

" بيروت...



روح البحر
قلادته الملقى بجواهره
الزرقاء
برفيف الحوريات
على رمل شواطئه
شهوته الحرى الحياة
لا تشبه أية حياة
صخب الموج،
هدير الريح، نسمات ترقص غنجاً
بليالي الصيف تهب
"من أطراف الوادي"
يجى صقيع الخبث
تستيقظ شهوة موت
الغرباء
كعادتها تقطر
موتاً وقذائف
فيمزق شجر الأرز حبال الثلج يمد غصوناً برداً..
غاراً. " (٣٨)

تقدّم بيروت في القصيدة علامة مكانية تجمع بين نقيضين: الجمال والحياة من جهة، والموت والعنف من جهة أخرى، فالصور البحرية واللون الأزرق ترمز إلى الحيوية والخصب والانفتاح على الحياة لكن حضور الصقيع والقذائف يحوّل المكان إلى فضاء معادٍ يهدده الدمار وبذلك تُبنى سيميائية المكان على تضاد حاد يعكس مأساة المدينة وصراعها الوجودي.

٩. دمشق:

تتجلى دمشق في الشعر العراقي كمنبع للإلهام، يحكي جمالها شعراؤه بأعذب الكلمات، ناقلين صورة حية عن عمق التراث وروعة الجمال الذي تختزنه المدينة الأصيلة^(٣٩)، ويُبرز سعد ياسين يوسف توظيفاً بارعاً للمكان بوصفه تجربة معاشة مجازية، حيث يتحول الفضاء الجغرافي إلى كيان سيميائي حافل بالدلالات الوجدانية والوجودية، وذلك في مثل قوله من قصيدة "ترتيلة لدمشق":

" يا خيمة الله

التي طرزها بالياسمين
يا كوكب المَدْنِيَةِ الأولى
يا سماءَ الأُمْنِيَاتِ
يا جَرَحَ آلاَفِ الِيمَامَاتِ.
الصَّبَاحَاتُ الجميلَةُ ما عادتُ،
تُضَاحِكُنَا.
النَّوَافِيرُ التي كانتُ تُبَاكرُنَا،
أضحتُ... بكاءً.
ما الذي أدمى شفاهك ؟
وردها،
استباحَ الكلماتِ ؟
مَنْ تراءى في الدجى
قايضَ الصوتَ بوهمِ التتمتاتِ ؟
يا عيونَ الأُمسياتِ،
أنجمها،
إذا ما الغيمُ ارتقى
مِنْ قاسيونَ أطلَّ".^(٤٠)

١٠. عمان:

تُعتبر قصيدة "بحر عمان" تجسيداً لجمال الطبيعة والروح الثقافية لعمان، حيث يُعبر الشاعر عن مشاعر الفخر والانتماء من خلال استخدام الرموز الطبيعية واللغوية^(٤١)، ويتميز الخطاب الشعري عند سعد ياسين يوسف بقدرة فائقة على تحويل المكان الجغرافي إلى بنية سيميائية متعددة المستويات^(٤٢)، ففي قصيدة "بحر عمان"، يتجلى توظيف الشاعر لهذه التقنية ببراعة فائقة، كما في قوله:

"ما أَنْ يصدَحَ صوتُ اللَّهِ
والنَّاسُ نيام...
تستيقظ شمسها
تَحَارُ مِنْ أَيِّ أَفْقٍ تُطَلُّ برأسها؟
ومِنْ خَلْفِ أَيِّ جَبَلٍ من جبالها السَّبْعَة
تلقي بضعائها التي تلوّن السَّنابِلَ،



جدران البيوت...؟
ترسمُ بالذهبِ يدَ الله
وهي تمنح الهدأة لليمام
على أسطح المنازل،
على أشجارها الممشوقة
كراقصات "الباليه"
للصغار الحالمين بالياسمين
الصّاحكِ على أكتافِ أبوابها
المزخرفة....
بكل الأسماء العربية
وبتعاويز النور الأزلي. " (٤٣)

الخاتمة:

- أفضى البحث إلى أن المكان في شعر سعد ياسين يوسف لا يؤدي وظيفة وصفية، بل يتحول إلى بنية سيميائية فاعلة تسهم في إنتاج المعنى، وتعكس الهمّ الوجودي والإنساني، مما يجعل المكان أحد أهم المفاتيح التأويلية لفهم نصوصه الشعرية.
- تحوّل المكان من معطى جغرافي إلى رمز يحمل الذاكرة والهوية، إذ أظهر البحث أن الشاعر يعيد تشكيل الأمكنة الواقعية (كالعمارة، بغداد، بابل، كربلاء وغيرها) لتغدو رموزاً للذاكرة الجمعية والهوية العراقية، وأداة لمقاومة النسيان واستحضار التاريخ والحضارة والأسطورة داخل النص الشعري.
- تنوع أنماط المكان يعكس عمق الرؤية الشعرية، حيث بيّن البحث أن تنوع أنماط المكان (المجازي، الهندسي، المعادي، والمكان بوصفه تجربة معاشة) أسهم في إثراء البنية الرمزية للنص، ومنح التجربة الشعرية طاقات دلالية متعددة، عبّرت عن مأساة الواقع العراقي والتوتر بين الذات والمحيط.

الهوامش:

- (١) ينظر: "العلامات المكانية في شعر عارف الساعدي: دراسة سيميائية، شفاء صالح سفر، مجلة آداب الرافدين، المجلد ٥٢، ٢٠٢٢، ص ٢٥١.
- (٢) تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص ٩٢.
- (٣) الأسلوبية وسيمياء المكان، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٣٤.
- (٤) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص ٢١١.

- (٥) الشعر والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩، ص ٥٧.
- (٦) ينظر: جماليات التشكيل الزمكاني في ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً" لمحمود درويش"، نسيم مصطفى بني عودة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد ٢٢، العدد ٢، ٢٠١٤م: ص ٨٣.
- (٧) قصيدة "قذائف وشنائيل"، سعد ياسين يوسف، القصيدة في اسبوع الفلوجة الثقافي الثالث ٢٠١٢.
- (٨) ينظر: "التشكيل المكاني في الشعر، محفوظ سارة، وفراجي كريمة، مجلة الدراسات الأكاديمية، المجلد ٣، العدد، ١٢، ٢٠٢١، ص ١٤٧.
- (٩) ديوان "شجر الأنبياء" قصيدة "شجرة آدم"، سعد ياسين يوسف، دار الينابيع، سورية / دمشق، ٢٠١٢م، ص ١٧.
- (١٠) ينظر: جماليات المكان، باشلار غاستون، ترجمة غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٣٢.
- (١١) ينظر: سيميائية المكان في أعمال سعد ياسين يوسف الشعرية، سمية مريم، وعليمة بن عويده العلمي، جامعة محمد الصديق بن يحيى، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤م ص ٧٥.
- (١٢) ديوان "أشجار لاهثة في العراء"، سعد ياسين يوسف، أمل الجديدة، سوريا، ٢٠١٨م، ص ١٤.
- (١٣) ينظر: "فاعلية المكان في الصورة الشعرية" سفيات المتنبى انموذجاً"، علي متعب جاسم، ومنى شفيق توفيق، مجلة ديالى، العدد الرابعون، ٢٠٠٩، ص ٨٩.
- (١٤) ديوان الأشجار تحلق عميقاً، سعد ياسين يوسف، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢١م، ص ٩٢.
- (١٥) ينظر: "بناء المكان المعادي في القصة القصيرة العراقية: نماذج مختارة"، حسن زهراو غانم، مجلة كلية التربية، العدد ١، ٢٠٢١، ص ٤٧.
- (١٦) ديوان "أشجار لاهثة في العراء": ص ١٨
- (١٧) ديوان "شجر الأنبياء": ص ٧.
- (١٨) "المكان في الشعر السوداني الحديث: الكوخ أنموذجاً"، محمد محجوب محمد عبدالمجيد، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠٢٣، ص ٤٩.
- (١٩) ديوان "أشجار خريف موحش"، قصيدة "شجر الموت"، سعد ياسين يوسف، دار أمل الجديدة، ٢٠١٤م: ص ٨٧.
- (٢٠) ينظر: صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، بدر نافع الرشيد، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢م، ص ٦٣.
- (٢١) ينظر: شخصيات من بلادي، سعد ياسين يوسف، موفق الربيعي، دار سطور، ٢٠٢١م، ص ٧٣.
- (٢٢) ينظر: "بنية المكان في شعر إبراهيم الواصل: الريف إنموذجاً"، رعد هوير سويلم، مجلة أبحاث ميسان، المجلد ١١، العدد ١، ٢٠١٥، ص ٢٥٣.
- (٢٣) محلة "التوراة" بمدينة العمارة مسقط رأس الشاعر سعد ياسين يوسف.
- (٢٤) ديوان الأشجار تحلق عميقاً: ص ٣٩.
- (٢٥) ينظر: بلاغة العلامة المكانية في الشعر الخليجي مطلع الألفية الثالثة"، مصطفى إبراهيم محمد الضبع، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، عدد خاص، ٢٠٢٤، ص ٧٣.
- (٢٦) ينظر: ٢٦. المتخيل الأسطوري في الشعر القصصي العراقي، هيثم عباس سالم الصويلي، "مجلة الدراسات المستدامة"، المجلد ٤، ٢٠٢٢م: ص ١٢٠٣.
- (٢٧) ديوان "الأشجار تحلق عميقاً قصيدة: ص ٩٧.



- (٢٨) ينظر: "المدينة في الشعر العراقي الحديث ١٩٥٨ - ١٩٨٠" رسالة ماجستير، عبدالله حبيب كاظم التميمي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٥٣.
- (٢٩) ينظر: التجاور الدلالي في شعر سعد ياسين يوسف، عباس يد اللهي فارساني ورحيم زاير كاظم الغانمي، مجلة العلوم الإنسانية المجلد ٤، ٢٠٢٣ م: ص ٢٨٢.
- (٣٠) ديوان "أشجار لاهثة في العراء": ص ٦٤.
- (٣١) ينظر: "العودة إلى بابل للشاعر على جعفر العلق تجليات النص السيري"، عارف حمود الساعدي، مجلة الآداب، العدد ١١٨، ٢٠١٦، ص ١٥٣.
- (٣٢) ديوان "أشجار خريف موحش": ص ٤٦.
- (٣٣) ينظر: "كربلاء ورموزها في الشعر العراقي الحديث"، صدام فهد ظاهر الأسدي، مجلة آداب البصرة، العدد ٥١، ٢٠١٠، ٢٨.
- (٣٤) ديوان "أشجار لاهثة في العراء": ص ٤٤.
- (٣٥) ينظر: "المتخيل الأسطوري في الشعر القصصي العراقي": ص ١٢٠٧.
- (٣٦) ديوان "شجر الأنبياء": ص ٤٩.
- (٣٧) ينظر: "بيروت: الشعر من بوابة المأساة"، ديمه الشكر، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٢٤، ٢٠٢٠، ص ١١٦.
- (٣٨) ديوان "شجر الأنبياء": ص ٨٧.
- (٣٩) ينظر: "دمشق في الشعر العراقي"، نبوغ أسعد، مجلة المعرفة، العدد ٦٢٣، ٢٠١٥، ص ١٩٥.
- (٤٠) ديوان "أشجار خريف موحش": ص ٤١.
- (٤١) ينظر: قراءة في الديوان الشعري "أشجار لاهثة في العراء" للشاعر سعد ياسين يوسف، جمعة عبدالله، صوت كردستان، ٢٠١٨ م: ص ٣٦.
- (٤٢) ينظر: تأملات في جديد الشجر عند الشاعر سعد ياسين يوسف م. قراءة نقدية في مجموعة: الأشجار لا تغادر أعشاشها علي حداد، صحيفة المثقف العدد (٣٣٠٨)، ٢٠١٦ م: ص ٣٠.
- (٤٣) ديوان الأشجار تعلق عميقاً: ص ١٠٠.

المصادر المراجع:

١. بلاغة العلامة المكانية في الشعر الخليجي مطلع الألفية الثالثة، مصطفى إبراهيم محمد الضبع، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، عدد خاص، ٢٠٢٤.
٢. بناء المكان المعادي في القصة القصيرة العراقية "نماذج مختارة"، حسن زهراو غانم، مجلة كلية التربية، العدد ١، ٢٠٢١.
٣. بنية المكان في شعر إبراهيم الوائلي: الريف إنموذجاً"، رعد هوير سويلم، مجلة أبحاث ميسان، المجلد ١١، العدد ٢١، ٢٠١٥.
٤. بيروت "الشعر من بوابة المأساة"، ديمه الشكر، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٢٤، ٢٠٢٠.
٥. تأملات في جديد الشجر عند الشاعر سعد ياسين يوسف م. قراءة نقدية في مجموعة: الأشجار لا تغادر أعشاشها علي حداد، صحيفة المثقف العدد (٣٣٠٨)، ٢٠١٦ م.



٦. التجاور الدلالي في شعر سعد ياسين يوسف، عباس يد اللهي فارساني ورحيم زاير كاظم الغانمي، مجلة العلوم الإنسانية المجلد ٤، ٢٠٢٣ م.
٧. التشكيل المكاني في الشعر، محفوظ سارة، وفراجي كريمة، مجلة الدراسات الأكاديمية، المجلد ٣، العدد، ١٢، ٢٠٢١.
٨. جماليات التشكيل الزمكاني في ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً" لمحمود درويش"، نسيم مصطفى بني عودة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد ٢٢، العدد ٢، ٢٠١٤ م.
٩. جماليات المكان، باشلار غاستون، ترجمة غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ م.
١٠. دمشق في الشعر العراقي، نبوغ أسعد، مجلة المعرفة، العدد ٦٢٣، ٢٠١٥.
١١. ديوان الأشجار تحلق عميقاً، سعد ياسين يوسف، دار أمل الجديدة، سورية / دمشق، ٢٠٢١ م.
١٢. ديوان " شجر الأنبياء " قصيدة " شجرة آدم "، سعد ياسين يوسف، دار الينابيع، سورية / دمشق، ٢٠١٢.
١٣. ديوان "أشجار خريف موحش"، قصيدة " شجر الموت "، سعد ياسين يوسف، دار أمل الجديدة، ٢٠١٤ م.
١٤. ديوان "أشجار لاهثة في العراء"، سعد ياسين يوسف، أمل الجديدة، سوريا، ٢٠١٨ م.
١٥. سيميائية المكان في أعمال سعد ياسين يوسف الشعرية، سمية مريم، وعليمة بن عويذة العلمي، جامعة محمد الصديق بن يحيى، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤ م.
١٦. شخصيات من بلادي، سعد ياسين يوسف، موفق الربيعي، دار سطور، ٢٠٢١.
١٧. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.
١٨. صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، بدر نافع الرشيد، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢.
١٩. الأسلوبية وسيمياء المكان، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠١.
٢٠. العلامات المكانية في شعر عارف الساعدي: دراسة سيميائية، شفاء صالح سفر، مجلة آداب الرافدين، المجلد ٥٢، ٢٠٢٢.
٢١. العودة إلى بابل للشاعر على جعفر العلق تجليات النص السيري"، عارف حمود الساعدي، مجلة الآداب، العدد ١١٨، ٢٠١٦.
٢٢. فاعلية المكان في الصورة الشعرية "سيفيات المتنبى انموذجاً"، علي متعب جاسم، ومنى شفيق توفيق، مجلة ديالى، العدد الرابعون، ٢٠٠٩.
٢٣. قذائف وشناشيل"، سعد ياسين يوسف، القصيدة في اسبوع الفلوجة الثقافي الثالث ٢٠١٢.
٢٤. قراءة في الديوان الشعري " أشجار لاهثة في العراء " للشاعر سعد ياسين يوسف، جمعة عبدالله، صوت كوردستان، ٢٠١٨ م.



٢٥. كربلاء ورموزها في الشعر العراقي الحديث"، صدام فهد طاهر الأسدي، مجلة آداب البصرة، العدد ٥١، ٢٠١٠.
٢٦. المتخيل الأسطوري في الشعر القصصي العراقي، هيثم عباس سالم الصويلي، "مجلة الدراسات المستدامة، المجلد ٤، ٢٠٢٢ م.
٢٧. تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
٢٨. المدينة في الشعر العراقي الحديث ١٩٥٨ - ١٩٨٠" رسالة ماجستير، عبدالله حبيب كاظم التميمي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٤.
٢٩. المكان في الشعر السوداني الحديث: الكوخ أنموذجاً"، محمد محجوب محمد عبدالمجيد، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠٢٣.
٣٠. الشعر والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩.